

الحقد... بديل رفيق الحريري

خير الله خير الله
إعلامي لبناني

يصدر في السابع من الشهر الجاري الحكم في قضية اغتيال رفيق الحريري ورفاقه. بعد مضي خمسة عشر عاما ونصف عام، ستحدد المحكمة الدولية التي أنشئت بموجب قرار صادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة من قتل الرجل. ليس معروفا هل ستذكر كل الأسماء أم تكتفي ببعض هؤلاء من دون تحديد الجهة التي ينتمون إليها إرضاء لروسيا.

اشترطت روسيا، من أجل تمرير قرار مجلس الأمن القاضي بإنشاء "المحكمة الخاصة بلبنان" تحت الفصل السابع، عدم ذكر كيانات سياسية، مثل "حزب الله" أو الدولة السورية في الحكم الصادر عن المحكمة الدولية.

لن تكون حاجة إلى ذكر أي كيانات سياسية من أجل معرفة من كان وراء اغتيال رفيق الحريري. من أجل معرفة من نفذ ومن وحرص ومن وفر التغطية عبر النظام الأمني المشترك الذي كان يتحكم بالوضع على الأرض في المرحلة التي سبقت اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق ومن كانوا معه. سيكون سعد الحريري في لاهي من أجل الاستماع إلى الحكم الذي ستصدره المحكمة الدولية. لن يتردد في قول ما يجب قوله عن الجهة التي نفذت الاغتيال والتي ترفض تسليم المجرمين، لكنه سيكون حريصا على نقادي كل ما يمكن أن يغير فتنة شيعية - سنية. يظل نقادي فتنة أخرى في هذا الظرف الذي يميز

فيه لبنان أولوية وطنية، خصوصا إذا أخذنا في الاعتبار أن "حزب الله" ليس ممثل الشيعية في لبنان، بل أخذ الطائفة رهيبة تمهيدا كي يصبح لبنان كله رهيبة لديه بعد دخول البلد رسمياً "عهد حزب الله" ابتداء من الواحد والثلاثين من تشرين الأول - أكتوبر 2016.

احتاج الذين قتلوا رفيق الحريري إلى أكثر من خمس عشرة سنة للقضاء على إرث الرجل، ولم يدركوا أن القضاء على إرث رفيق الحريري هو قضاء على لبنان ليس إلا

منذ اغتيال رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط - فبراير 2005، وحتى قبل ذلك عند محاولة اغتيال مروان حمادة في أول تشرين الأول - أكتوبر 2004، وصولاً إلى صدور حكم المحكمة الدولية في لاهي، صار هناك واقع لم يعد في الإمكان تجاهله. لا يمثل هذا الواقع في التخلص جسدياً من رفيق الحريري فحسب، بل يشمل أيضاً القضاء نهائياً على كل أمل في أن تقوم قيامة للبنان. الدليل على ذلك أن لبنان يشهد حالياً عملية قضاء نهائية على كل إرث رفيق الحريري، بدءاً بالكهرباء والمستشفى والنظام المصرفي والاقتصاد عموماً وصولاً إلى التعليم والبنية التحتية.



المطاف، إن رفيق الحريري هو الشخص الوحيد الذي تمكن من إعادة لبنانيين إلى لبنان منذ بدأ النزف في العام 1975. أوقف حفلة الجنون في البلد وأعاد إليه مسيحين قبل أن يعيد مسلمين. الأكيد أن الحكم الذي سيصدر عن المحكمة الدولية هو للتاريخ. لن يعيد الحكم رفيق الحريري إلى اللبنانيين ولبنان. لن يعيد لهم حتى الأمل بعدما انصرفت آلة القتل التي فجرت موكبه إلى العمل بكل قوة من أجل محو أي أثر لرجل كان مهووساً بلبنان وبقدرة اللبنانيين على الدفاع عن ثقافة الحياة.

حسنًا، قتل الحاقدون على لبنان رفيق الحريري وقتلوا لبنان في الوقت ذاته. سيلعنهم أبناؤهم في يوم من الأيام قبل أن يلعنهم اللبنانيون الآخرون الذين غرقوا في البؤس إلى ما فوق آذانهم...

حمل معه مساعدة لمؤسسات تعليمية لبنانية كي تتمكن من تفادي الإقبال وإكمال مهمتها. كان وزير الخارجية ناصيف حنيّ الوحيد بين كبار المسؤولين اللبنانيين الذي فهم مغزى زيارة وزير الخارجية الفرنسي وأبعاد الرسالة التي حملها. هذا ما دفعه إلى الاستقالة. يعرف حتى مثله مثل أي لبناني يمتلك هذا أدنى قدر الوزير الفعّز منه قبل فوات الأوان. أقله من أجل إنقاذ سمعته في بلد يعرف الصغير قبل الكبير أن ما يجري حالياً استكمال لجريمة اغتيال رفيق الحريري. نعم، احتاج القضاء على إرث رفيق الحريري ما يزيد على خمسة عشر عاماً. تكمن مأساة لبنان أن لا وجود لإرث آخر يمكن البناء عليه. في نهاية

قضاء على لبنان ليس إلا. فما يتبين مع مرور الزمن أن لا وجود لمشروع بديل من ذلك الذي عمل من أجله رفيق الحريري. بنى الحجر والبشر. البشر قبل الحجر. ما يحصل حالياً هو بناء مشروع بديل من مشروع الإنماء والإعمار. إنه مشروع مبني على الحقد وليس على أي شيء آخر. ليس لدى الذين قتلوا رفيق الحريري والذين غطوا الجريمة وصولاً إلى ما وصل إليه لبنان سوى مشروع واحد اسمه الحقد. كانت زيارة وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان مناسبة كي يتكشف مدى الحقد على لبنان واللبنانيين ومدى فهم فرنسا لما على المحك في لبنان. لم يكتف لودريان بالتشديد على الإصلاحات المطلوبة، وهو أمر لم يفهم كبار المسؤولين معناه ومدى أهميته، بل

الأخطاء الستة التي قتلت 800 ألف إنسان

الآن، فإنها سوف تظل تقتل المزيد، فالمرزب، حتى تندلع جائحة أخرى، لنرى ما إذا كانت البشرية قد تعلمت درساً.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
أسسها 1977

أحمد الصالحين العنوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العنوني

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

هذا العقار أو ذلك، الأمر الذي استهلك الكثير من الوقت، وأوضاع الكثير من الفرص لإقناع الكثير من المصابين. وعلى سبيل المثال، فإن تخثر الدم، كما ظل واضحاً منذ البداية، كان واحداً من أهم أسباب الفشل العضوي الذي يؤدي إلى الوفاة. وكذلك الحال مع "عاصفة السيكتوتين" وهي رد الفعل العنيف الذي يمارسه جهاز المناعة لدى المريض، فيقتله.

هذان العاملان يشكلان بمفردهما نحو ثلاثة أرباع أسباب الوفيات. وعلاجهما ممكن بعقاقير متاحة من الأساس.

● قتل المؤسسات الطبية في تناقل الخبرات ونتائج التشريح وغيرها من وسائل المعرفة، جعل هذه المؤسسات تعيش في حالة من الفوضى، وتجبرها على ممارسات تجريبية وغير منسقة. وهنا أيضاً تتحمل منظمة الصحة العالمية واحدة من أكبر المسؤوليات عن العواقب الكارثية التي وجد العالم نفسه غارقاً فيها. وهذا هو الخطأ الخامس.

القرار السياسي المضطرب كان واحداً من أهم أسباب الفوضى التي اجتاحت العالم. فجة اكتشافنا أن المؤسسات الطبية غير مؤهلة لاستقبال مرضى هذه الجائحة، وأي جائحة أخرى. وفجة اكتشافنا أن هناك نقصاً مروعاً في المعدات الطبية الضرورية. وفجة اكتشافنا أننا لا نعرف ماذا يجب أن نعرف لكي نتخذ القرار الصحيح، وظل الأمر يعتمد على تكهنات، وعلى إجراءات ورود فعل متفاوتة. الرئيس ترامب وحده كان مصيبة قائمة بحد ذاتها، وظل كذلك حتى اعترف بأهمية ارتداء الكمامة، ولكن بعد فوات الأوان. وهو دفع الكثير من مواطنيه، مثله مثل الرئيس البرازيلي جايير بولسونارو، إلى الاستهانة بالمرض، أو اقتراح علاجات عشوائية، كانت بحد ذاتها تعبيراً عن استخفاف صريح بالعلم.

● السياسي، حتى في أسوأ الظروف، وأعنف الاضطرابات يجب أن يظل رأسه بارداً، ويحرص على اقتفاء أثر العلم والمعرفة، وأن يتحاشى العشوائية والارتجال، ويتخذ قراراً غير مدفوع بعواطف، ولا مدفوعاً بالخوف من عدم الفوز في انتخابات. وكان ذلك هو الخطأ السادس.

عندما تتعلق المسألة بحياة البشر، فإن الشراكة، والتعاون، وتبادل المعارف، وتوفير المستلزمات، والقرار الرصين، ليست فصولاً من أعمال الرفاهية. إنها قواعد مقدسة. ولئن أدت الأخطاء الستة، مع غيرها قطعاً، إلى مقتل 800 ألف إنسان، حتى

والمعارف والاستكشافات على نحو مفتوح، وتخضع لإدارة وتنسيق منظمة الصحة العالمية. ويجري تمويلها وفقاً لبرنامج خاص تشترك فيه كل دول العالم، وأن تكون النتيجة ثمرة لذلك التعاون وليس سباقاً تجارياً من أجل الربح. ولقد كان ذلك هو الخطأ الرابع.

● الإغلاق الشامل ثبت أنه أدى إلى تعطيل الاقتصاد وتعريضه للخسائر، من دون أن يحقق تقدماً فعلياً في الحد من تفشي الوباء، ولا توفرت له القدرة من الأساس على التصدي للموجة الثانية، لأن استنزافه كان حاداً. فكان ذلك هو الخطأ الثالث.

السباق الدولي من أجل التوصل إلى علاج ولقاح كان أماناً إلى حد الفضيحة. فالانتهازية التجارية هي التي غلبت على مسالك الشركات الكبرى، بدعم وتحريض من حكومات دولها. هذا الأمر ظهر مُغلغلاً، على نحو شديد الكذب، بالحرص على توفير الحماية للمواطنين، ولكنه دفع الشركات التي لا تزال تخوض تجارب البحث عن علاج أو لقاح إلى أن تتحرك بمفردها، وفي الغالب سرا، لكي تحافظ على "حقوق الملكية الفكرية" لما تتوصل إليه. هذه الجريمة لا تزال مستمرة.

وليس هناك قوة على الأرض يمكن أن توفقها الآن. الصين وروسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة، كل يعمل بمفرده من أجل أن يكسب السبق التجاري والمعنوي. فإذا كان هناك فشل استثنائي تستحق منظمة الصحة العالمية أن تحاسب عليه، فهو هذا على وجه التحديد.

● لقد كان يجب أن تجتمع الجهود في فرق تعاون دولي، تتبادل الخبرات

إجراءات كان بوسعها أن تحد من تفشي الوباء من دون إغلاق شامل يستمر لأشهر.

● الإغلاق الشامل ثبت أنه أدى إلى تعطيل الاقتصاد وتعريضه للخسائر، من دون أن يحقق تقدماً فعلياً في الحد من تفشي الوباء، ولا توفرت له القدرة من الأساس على التصدي للموجة الثانية، لأن استنزافه كان حاداً. فكان ذلك هو الخطأ الثالث.

السباق الدولي من أجل التوصل إلى علاج ولقاح كان أماناً إلى حد الفضيحة. فالانتهازية التجارية هي التي غلبت على مسالك الشركات الكبرى، بدعم وتحريض من حكومات دولها. هذا الأمر ظهر مُغلغلاً، على نحو شديد الكذب، بالحرص على توفير الحماية للمواطنين، ولكنه دفع الشركات التي لا تزال تخوض تجارب البحث عن علاج أو لقاح إلى أن تتحرك بمفردها، وفي الغالب سرا، لكي تحافظ على "حقوق الملكية الفكرية" لما تتوصل إليه. هذه الجريمة لا تزال مستمرة.

وليس هناك قوة على الأرض يمكن أن توفقها الآن. الصين وروسيا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة، كل يعمل بمفرده من أجل أن يكسب السبق التجاري والمعنوي. فإذا كان هناك فشل استثنائي تستحق منظمة الصحة العالمية أن تحاسب عليه، فهو هذا على وجه التحديد.

● لقد كان يجب أن تجتمع الجهود في فرق تعاون دولي، تتبادل الخبرات

لا بد منه. وهو ما كلف اقتصاد العالم تريليونات الدولارات، وهدد الآلاف من الشركات الكبرى، ومئات الآلاف من الشركات الصغيرة، والملايين من العاطلين عن العمل. الأضرار الاقتصادية الجسيمة حملت الكثير من البلدان على الإسراع في رفع إجراءات الإغلاق، من دون أن يتوفر لها اليقين الكافي بأن الوباء سوف يتراجع بالفعل. فلم يتراجع، ولم تعد هناك قدرة على الإغلاق من جديد. لأن التكاليف أصبحت باهظة، ولم يعد بالإمكان زيادتها أصلاً مهما كانت التكلفة البشرية.

ولو أن الإغلاق لم يحدث، أو لو أنه اقتصر على مصادر التفشي الأسرع، مثل وسائل النقل العام، وتم نقل كل الوظائف الممكنة إلى المنازل، وجرى اتباع وسائل الوقاية التي أصبحت متوفرة بحلول شهر أبريل، لكان بالوسع التقليل من الأضرار الاقتصادية وفي الوقت نفسه الحد من أليات التفشي. الكثير من الدول لا تزال حتى هذه اللحظة لا تجبر كل المواطنين على ارتداء الكمامات حالما يجدون أنفسهم خارج المنزل. وفاتت القدرة، في إطار سياسات التمتع، على جعل الإغلاق القسري منزلياً فحسب، لن ثبتت إصابته بالوباء.

العزل الإجباري للمنازل التي توجد فيها إصابات، والارتداء الإلزامي للكمامات، وتوفير وسائل التطهير في الأماكن العامة، ونقل كل الوظائف الممكنة إلى المنازل، والفحوص السريعة في الدوائر المحتملة للإصابات...



علي عراقبي
كاتب عراقي

مع حلول نهاية هذا الأسبوع سوف يبلغ عدد المصابين بفايروس كورونا أكثر من 20 مليون إنسان. أما الوفيات فمن المرجح لها أن تبلغ نحو 800 ألف.

الوباء بدأ في التفشي في نوفمبر الماضي، وتحول إلى جائحة عالمية في مارس من هذا العام، ولا يزال يبدو على أشد قوته.

كانت هناك ثلاثة أشهر من عدم اليقين حول سبل مكافحة الوباء. وطرحنا نظريات عدة حول طبيعة الوباء وآليات انتشاره، إلا أن بعضها لم يكن صحيحاً. العلماء بهذا المعنى يتحملون المسؤولية الأولى، ولكنها مسؤولية محدودة في ذات الوقت، لأن المعرفة المتاحة بالفايروس كانت محدودة بدورها، الأمر الذي يجعل العلماء عاجزين تلقائياً عن تقديم الإرشاد الصحيح. ومع الكثير من الإنفعال والدهشة، فقد أصاب العلماء من مختلف أرجاء العالم ارتباك شديد، لاسيما وأن الضغوط السياسية عليهم بدأت ترتفع على نحو غير مألوف. حتى أن الرئيس الأميركي دونالد ترامب ورئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون كانا لا يظهران للتعليق على تطورات الوباء إلا وفي جوارهما علماء. وكانهما يريدان البرهان على أن حديثهما رصين، رغم أنه لم يكن كذلك دائماً. بل يدل أكثر على أنهما لم يسالا العلماء الأسئلة المناسبة لجعل القرار سليماً.

● لا تضع عالماً تحت أي ضغط ولا تجعله شريكاً في اتخاذ قرار سياسي، لأنه سوف يرتبك. وتوجيه السؤال الخطأ، لا يعطيك الجواب الصحيح، حتى ولو كان الجواب عالماً. لقد كان ذلك هو الخطأ الأول.

الكثير من السلطات من حول العالم لم تتخذ الإجراءات الوقائية الصحيحة في الوقت المناسب. ولم تكن تلك الإجراءات مبكرة بما يكفي. بريطانيا على سبيل المثال، ظلت تتفرج على تداعيات الوباء في إيطاليا، من دون أن تسارع إلى توفير وسائل الفحص والتتبع والمراقبة والعزل، ولا حتى وسائل التطهير والوقاية. وعندما وقع الفأس بالراس، فقد كان الكثير من الوقت قد فات.

● لقد افتقدنا القدرة على التعامل السريع مع متطلبات الوقاية. وكان ذلك هو الخطأ الثاني.

وعندما بدأ التفشي يخرج عن السيطرة، فقد أصبح الإغلاق العام شراً